الباب الخامس
الفصل الأول: الإدراك الفكرى والتمييز الغريزى

1. عملية الإدراك الشعورى.
2. الإسترجاع ونقل المعلومات.
3. تجارب الإنسان الأول.
4. المعلومات السابقة وحتميتها.
5. التفكير وعوامله الأربعة.
6. التمييز الغريزى فى الحيوان.

الفصل الثانى
الحياة والموت والأحكام الشرعية المتعلقة بهما

1. وقفة مع التطورات العلمية
2. الحياة والروح
3. الأحكام الشرعية المتعلقة بالجنين
4. الموت
5. الأحكام الشرعية التى تترتب على إنتهاء حياة الإنسان

* استعمال أجهزة الإنعاش الطبية الحديثة

6. الإستنساخ
7. نقل الأعضاء
8. أطفال الأنابيب

الفصل الأول
الإدراك الفكرى والتمييز الغريزى

رداً على ما يطرحه علماء التطور المادى من مشاهدات شاهدوها لدى بعض الحيوانات (وخاصة القرود والسعادين) والتى أوردوها كشواهد وإثباتات على قرابة الإنسان للحيوان أو تطوره من سلالة القردة والسعادين، نظراً لبعض المشابهة فى الأفعال والتصرفات التى شاهدوها فى قطعان القرود وأفرادها مع التصرفات البشرية، والوارد فى فصل "على هامش نظرية التطور والارتقاء المادي". (1) لذا فقد استحدثت هذا الباب لأبين هل هذه التصرفات الصادرة من الحيوان تعنى عقلاً وتفكيراً أم ماذا؟. وهذا الفصل بالكامل جرى نقله مع بعض التعديلات والتصرف البسيط بالنص من كتاب "التفكير" للعلامة الشيخ تقى الدين النبهاني، مع الاقتباس من مصادر أخرى. (2)

---

(1) تابع الصفحة السابقة - الشيخ إبراهيم الأنور بن الشيخ على الأكحل، ومن نسله [السعديون] سكان قرية المزار من أعمال جنين، نسبة إلى المتصوف الشهير الشيخ سعد الدين الجباوى المتوفى سنة 621هـ/1224م، وهو من أهل جبا من أعمال القنيطرة فى الجولان، ومن السادة السعديين آل كمال والسعدى فى صفد وعكا وجنين وسيلة الحارثية، من مشاهيرهم الشهيد الشيخ [فرحان السعدي] المعروف بتقواه وبطولته، كان رحمة الله بطليعة المجاهدين فى فلسطين، نفذ به الكفرة الصليبيين الإنجليز حكم الإعدام شنقاً فى 27 رمضان 1357هـ/1938م، زمن انتدابهم البغيض على فلسطين وهو صائم وقد تجاوز الثمانين، منهم قوم بصعيد مصر يعرفون بجماعة [نهار] فى سفط وما يليها.

(2) الفصل (11)، من الباب الأول.

[1] عملية الإدراك الشعورى:

إنّ الإدراك الشعورى هو ناتج عن الغرائز والحاجات العضوية، والذى يحصل عند الحيوان، كما أنه يحصل عند الإنسان أيضاً، فيعرف من تكرار إعطائه التفاحة والحجر، أنّ التفاحة تُؤكل والحجر لا يؤكل، كما يعرف الحمار أنّ الشعير يؤكل وأنّ التراب لا يؤكل، ولكن هذا التمييز ليس فكراً ولا إدراكاً، إنّما هو رجع للغرائز والحاجات العضوية، وهو موجود عند الحيوان كما هو موجود عند الإنسان، لذلك لا يمكن أن يحصل فكر إلا إذا وجدت المعلومات السابقة مع نقل الإحساس إلى الدماغ بواسطة الحواس.

أما ما يشتبه على الكثيرين هو أنّ المعلومات السابقة قد تحصل من تجارب الشخص نفسه، وقد تحصل من التلقى عن الغير، فعندهم أنّ التجارب الأولى هى التى أوجدت معلومات، فتكون التجارب الأولى هى التى أوجدت العملية العقلية. وهذا الاشتباه يُزال بمجرد لفت النظر إلى ما بين دماغ الإنسان وبين دماغ الحيوان من فرق من ناحية الربط، وبمجرد لفت النظر إلى ما بين ما يتعلق بالغرائز والحاجات العضوية وبين ما يتعلق بالحكم على الأشياء ما هي.

أما الفرق بين دماغ الحيوان وبين دماغ الإنسان، فإنّ دماغ الحيوان لا يوجد به ربط للمعلومات، إنما يوجد به استرجاع الإحساس ولا سيما إذا تكرر، وهذا الاسترجاع - من حيث قيام الحيوان بالفعل طبيعياً - خاص فيما يتعلق بالغرائز والحاجات العضوية ولا يتعداها لغيرها، فأنت إذا ضربت الجرس وأطعمت الكلب عند ضرب الجرس، فإنه إذا تكرر ذلك يفهم الكلب إذا قرع الجرس أنّ الأكل آتٍ ولذلك يسيل لعابه، وكذلك إذا رأى الحمار حماره تتحرك فيه الشهوة، وأيضاً فإنّ البقر وهى ترعى تتجنب الأعشاب السّامة والأعشاب التى تضرها. وكل هذا وأمثاله إنما هو تمييز غريزي.

وكمثال على التمييز الغريزي، يقول د. أمين رويحة، فى كتابه "التداوى بالأعشاب": [كنت سجيناً عند الإنجليز فى سجن سالسبورى عاصمة روديسيا الجنوبية فى جنوب أفريقية، وذات يوم كنت وبعض الزنوج من زملائى السجناء فى مزرعة تابعة للسجن، ومعنا عدد من الحراس الأوروبيون البيض والزنوج، فشاهدت كلباً يطوف مهرولاً فى المزرعة متنقلاً من عشب إلى آخر يشمه ثم يغادره، حتى وقف عند أحد الأعشاب وأخذ يأكل، وعلى وجهه علائم الإمتعاض من ثمره، وهو حب بحجم ثمرة الجوز أصفر اللون، وبعد أن أكل بضع حبات منه خرج من المزرعة مسرعاً، فاستغربت هذه الظاهرة خصوصاً وأنى أعرف أنَّ الكلاب من فصيلة الحيوانات آكلة اللحوم التى لا تأكل الأثمار والأعشاب، فأخذت بضع حبات من الثمار وعرضتها على ناظر المزرعة - وهو بويرى خبير بالزراعة - وعلمت منه أنها ثمار سامة وأنّ من أعراض التسمم بها القيء والإسهال، فالكلب ما أكل منها إذاً إلا وهو بحاجة إلى مسهل ينظف أمعائه، وقد اهتدى إليها بغريزته وميزها عن باقى الأعشاب الكثيرة التى ليس لها هذا التأثير.][1]

أما ما يُشاهَدَ مِن تعلم بعض الحيوانات حركات أو أعمالاً تقوم بها وهى لا تتعلق بالغريزة، كالألعاب التى تقوم بها بعض الحيوانات الأليفة والمتوحشّة من قفز ورقص وغيره والتى نشاهدها على حلبات ألعاب السيرك مثلاً، فهى إنّما تقوم بذلك تقليداً ومحاكاة وليس عن عقل وإدراك. فدماغ الحيوان لا توجد فيه خاصية ربط المعلومات، وإنّما عنده تذكر الإحساس والتمييز الغريزي. فكل ما يتعلق بالغريزة يُحسه، وكما يحسه

---

(1) - النبهانى - تقى الدين، التفكير، الصفحات: (19 - 26). - عبده - محمد محمد إسماعيل، الفكر الإسلامي، الصفحات: (45 - 50) و (58 - 60). - الزين - سميح عاطف، لمن الحكم؟، الصفحات: (5 - 33)، ومصادر أخرى.

يستطيع استرجاع إحساسه لا سيما إذا تكرر هذا الإحساس. فما يتعلق بالغريزة يقوم به الحيوان طبيعياً سواء أحسه أو استرجع الإحساس به. أمّا ما لا يتعلق بالغريزة فلا يمكن أن يقوم به طبيعياً إذا أحسه، ولكن إذا كرَّرَ هذا الإحساس واسترجعه فإنه يمكن أن يقوم به تقليداً ومحاكاة وليس قياماً طبيعياً.

ولا بُدّ من الانتباه إلى أنّ ما يقوم به تقليداً ومحاكاة والذى لا يعتبر قياماً طبيعياً، لا يصبح مثل هذا العمل عادة فى جنس ذلك الحيوان يتوارثها عنه نسله، فقيام نمر أو أسد أو حصان أو فيل أو قرد بأعمال الرّقص والقفز فى السيرك لا ينقل تلك العادة منه إلى غيره من القطيع، كما لا ينتقل ذلك بالوراثة ليصبح عملاً من أعمال نسله، فترويض أحد الوحوش للقيام بتلك الأعمال لا يعنى إطلاقاً ترويض جنس ذلك الحيوان وانتقاله من شراسة الوحوش إلى وداعة الحيوان الأليف.

وكمثال على الإيلاف والترويض فقد اختص الله سبحانه وتعالى جنس "الببغاء" بتقليد صوت الإنسان، على أنّ ذلك لا يتم إلا بالترويض والإيلاف من الإنسان لذلك الطير عليها ويتقن التقليد والمحاكاة، ومن المعلوم بداهة أنّ هذا الإيلاف يصدق على ذلك الفرد فقط، مع القابلية الممنوحة لكافة الجنس على ذلك، ولا يكفى تدريب فرد من هذا النوع كى يأتى جنسه مُروضاً على ذلك، فلا بد من إيلاف وترويض وتدريب كل فرد من أفراد ذلك الجنس على تقليد الإنسان فى عادة الكلام. ورغم القابلية على المحاكاة الممنوحة لذلك الجنس فإنّ التدريب اللازم لكل فرد من أفراد الجنس هو لازم ليصبح عملاً من أعمال الجنس وليس الانتقال بالوراثة.

ربـط المعلومـــات :

أما فى الإنسان: فإنّ فى دماغه بخلاف دماغ الحيوان توجد فيه خاصية ربط المعلومات وليس مجرد استرجاع الإحساس فقط، فالشخص يرى إنساناً فى بغداد، ثم بعد عشر سنين يراه فى دمشق، فيسترجع إحساسه به، ولكنه لعدم وجود معلومات سابقة عنه لا يربط به أى شيء، بخلاف ما لو رأى هذا الرّجل فى بغداد وأخذ معلومات عنه، فإنّه يربط حضوره لدمشق بالمعلومات السابقة عنه ويدرك معنى حضوره لدمشق.

وهذا بخلاف الحيوان فإنه لو استرجع الإحساس بذلك الرّجل لا يدرك معنى حضوره، إنّما يحس فيما يتعلق بالغرائز لديه عند رؤية ذلك الرجل. فالحيوان يسترجع الإحساس ولكنه لا يربط المعلومات ولو أعطيت له بالتعليم والمحاكاة. أمّا الإنسان فإنه خلافاً لذلك يسترجع الإحساس ويربط الإحساس بالمعلومات. فدماغ الإنسان فيه خاصية الربط واسترجاع الإحساس، أمّا الحيوان فلا توجد لديه خاصية الربط، وغنما يوجد لديه استرجاع الإحساس فقط.

[2] الاسترجاع وربط المعلومات:

أما الفرق بين ما يتعلق بالغرائز والحاجات العضوية وبين ما يتعلق بماهية الأشياء والوقائع والحكم عليها: فإنَّ ما يتعلق بالغرائز يمكن للإنسان بتكرار الإحساس أن يسترجع الإحساس، ويمكنه بخاصية الرّبط أن يُكوّنَ من مجموع ما يحسه وما يسترجعه من إحساس معلومات، وأن يسترجع تلك الاحساسات بمعلوماتها فيما يتعلق بالغرائز والحاجات العضوية، ولكنه لا يمكن أن يربط هذه المعلومات فى غير ما يتعلق بالغرائز والحاجات العضوية، أى لا يمكنه أن يربطها بالحكم على ماهية الشيء.

ولقد اشتبه على الكثيرين التفريق بين عملية الاسترجاع وبين عملية

الرّبط، فعملية الاسترجاع لا تكون إلا فيما يتعلق بالغرائز والحاجات العضوية، ولكن عملية الربط تكون فى كل شيء: سواء فيما يتعلق بالغرائز والحاجات العضوية أو فى الحكم على ماهية الشيء. فالمعلومات السابقة لا بد منها فى عملية الربط، وميزة الإنسان على الحيوان إنما هى فى خاصية الربط. ولذلك فإنّ كون الإنسان يعرف من عوم الخشبة أنه يمكن أن يجعل من الخشب سفينة، هى مثل كون القرد يعرف أنّ إسقاط الموزة من قطف الموز بعصا أو غير ذلك من الأدوات. فكل ذلك متعلق بالغرائز والحاجات العضوية، وحصوله حتى لو تمّ بربط معلومات فهو عملية استرجاع وليس عملية ربط، ولذلك لا يكون عملية عقلية ولا يدل على أنّ هناك عقلاً أو فكراً.

أما ما يكون عملية فكرية حقاً فإنما هو الحكم على ماهية الأشياء، والحكم على ماهية الأشياء لا يتم إلا بعملية ربط بمعلومات سابقة. ومن هنا لا بد من وجود معلومات سابقة لأية عملية ربط حتى يوجد العقل أو الفكر، أى حتى تكون العملية العقلية.

[3] تجارب الإنسان الأول:

إنّ كثيراً من الناس يحاولون الإتيان بالإنسان الأول، وكيف اهتدى من تجاربه، ومن تكوين معلومات من تلك التجارب إلى الفكر والتفكير، ليصلوا من ذلك إلى أنّ الواقع نفسه بانعكاس الدماغ عليه، أو بإحساس الإنسان به، قد جعل الإنسان يفكر وأوجد لديه عملية عقلية، أى أوجد عنده فكراً وتفكيراً. وبالرغم مما قدمناه من أنّ هذا استرجاع وليس ربطاً، وأنه خاص بالغرائز والحاجات العضوية، ولا يمكن بحال أن ينطبق على الحكم على ماهية الأشياء، كافٍ لنقضه والرد عليه.

لكن الموضوع ليس بحثاً فى الإنسان الأول، ولا هو متعلق بفروض وتخمينات وتصورات واستنتاجات، وإنّما هو متعلق بالإنسان من حيث هو إنسان، فبدل أن نبحث فى الإنسان الأول ونستكشف عاداته وتقاليده فى المغاور والكهوف وعلى شواطيء البحار ومن صفحات الصخور لنقيس عليه الإنسان الحالى - الماثل شامخاً أمامنا نشاهده ونحس به - فنقيس الغائب على الشاهد. فلننظر فى الإنسان الحالى الموجود، وندرس تصرفاته وأعماله وطريقة عيشه. وما ينطبق على الإنسان الحالى بالحس والمشاهدة ينطبق على كل إنسان كان، حتى على ما يطلقون عليه الإنسان الأول. ولذلك لا يصح أن نعكس البرهان بل يجب أن نسوقه على الوجه الصحيح.

إنَّ الإنسان الحالى أمامنا نشاهده ونحس به، فلنقم بإجراء العملية العقلية عليه فيما يتعلق بالحكم على ماهية الأشياء، ثم نرى الاسترجاع والربط والفرق بينهما. فنشاهد أنَّ المعلومات السابقة لا بد منهما فى الربط عند الإنسان، إذ لا بد منها فى إجراء العملية العقلية. بخلاف استرجاع الإحساس فإنّه موجود عند الإنسان كما هو موجود عند الحيوان، وهو لا يشكل عملية عقلية، وهو ليس عقلاً ولا فكراً ولا تفكيراً. والطفل الصغير الذى لا يعرف الأشياء وليست لديه معلومات سابقة، والذى يمكن أن يأخذ المعلومات هو البرهان الصادق على معنى العقل.

[4] المعلومات السابقة وحتميتها:

إنَّ العقل أو الفكر أو الإدراك بمعنى واحد، ألا وهو الحكم على الشيء أو الحكم على الواقع، والعقل غير موجود بتاتاً إلا عند الإنسان والجان، إذ هو معدوم عند غيرهم من المخلوقات، فالعملية العقلية أى عملية التفكير لا يمكن أن يقوم بها إلا الإنسان والجان. أما الغرائز والحاجات العضوية فهى موجودة عند كل من الإنسان والحيوان، وكذلك إحساساتها فهى موجودة

عند كل من الإنسان والحيوان، ولكن كل ذلك ليس عقلاً ولا إدراكاً ولا تفكيراً، إنّما هو تمييز غريزى ليس إلا. أمّا العقل أو الفكر فإنه يحتاج إلى دماغ فيه خاصية ربط المعلومات، وهذا الدماغ الصالح ليس موجوداً إلا عند الإنسان والجان.

وعليه فإنَّ العملية العقلية لا يمكن أن تحصل إلا بوجود خاصية الربط، وخاصية الربط إنما تربط المعلومات بالواقع، ولذلك لا بد لأى عملية عقلية سواء أكانت لدى الإنسان الأول أو الإنسان الحالى من وجود معلومات سابقة عن الواقع، ويشترط وجودها قبل وجود هذا الواقع أمام الشخص الذى يريد أن يعقله.

من هنا فلا بد أن تكون لدى الإنسان ألأول معلومات سابقة عن الواقع من قبل أن يعرض عليه هذا الواقع، وهذه المعلومات لآبد أن تصل إليه عن طريق التلقى من الغير، أى لا بد لهذا الإنسان أن يزود بتلك المعلومات، حتى يستطيع أن يحكم على الواقع حين يستلزم الأمر هذا الحكم، وهذا يشير إلى قوله تعالى عن تزويد آدم "الإنسان الأول" بالمعلومات السابقة:{**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا**}(1){**قَالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ**}(2){**عَلَّمَ الإِنسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ**}(3) وعلى ذلك فالمعلومات السابقة هى شرط أساسى ورئيسى وحتمى لا بد من وجوده حتى تتحقق العملية العقلية، أى العقل والفكر.

[5] التفكير وعوامله الأربعة:

لقد سار علماء الشيوعية شوطاً كبيراً نحو إدراك العقل أى التفكير، فأدركوا فى محاولتهم تلك أنَّه لا بد من وجود واقع حتى تتم العملية العقلية،

---

(1) رويحه - الدكتور أمين، التداوى بالأعشاب، صفحة (6 - 7).
(2) البقرة: (31).
(3) العلق: (4).

وأدركوا أنه لا بد من وجود دماغ سليم "أى دماغ إنساني" حتى توجد العملية العقلية. وبذلك فقد ساروا فى أول الطريق المستقيم، لكنهم أخطأوا التعبير فى ربط الدماغ بالواقع وعبروا عنه بالانعكاس وليس بالإحساس، إلا أنَّهُم قد انحرفوا عن الصواب كلية حين أنكروا ضرورة وجود المعلومات السابقة حتى تتم العملية العقلية، إذ بدون توفر تلك المعلومات لا يمكن أن يتم التفكير ولا بوجه من الوجوه. وعلى ذلك فإنَّ الطريق المستقيم الذى يؤدى إلى معرفة معنى العقل معرفة يقينية جازمة هو أنه لا بد من وجود عناصر أربعة حتى تتم العملية العقلية أى حتى يوجد العقل أو الفكر:

لابد من وجود واقع.

لا بد من وجود دماغ سليم.

لابد من وجود إحساس.

لا بد من توفر معلومات سابقة عن هذا الواقع.

فلا بد من تحقق هذه العناصر الأربعة مجتمعة، ولا بد من تحقق اجتماعها حتى تتم العملية العقلية، أى حتى يوجد عقل أو فكر أو إدراك. وعليه فالعقل أو الفكر أو الإدراك الذى هو الحكم على الواقع، أو الحكم على ماهية الشيء يكون هو:"نقل الحس بالواقع إلى الدّماغ بواسطة الحواس مع توفر معلومات سابقة يُفسَّر بواسطتها هذا الواقع" لذا فإنَّ عدم توفر عناصر التفكير الأربعة كاملة ومجتمعة لا يؤدى إلى العملية التفكيرية. وبالتالى فلا يتم الحكم على الواقع أو على ماهية الشيء.

[6] التمييز الغريزى فى الحيوان:

نعود ثانية إلى موضوع الإدراك الشعورى أو التمييز الغريزي، فالتمييز الغريزى يحصل عند الحيوان من جراء تكرار إحساسه بالواقع.

ذلك أنّ الحيوان لديه دماغ ولديه حواس كما هو الحال عند الإنسان، إلا أنَّ دماغ الحيوان خالٍ من القدرة على الربط. وإنّما فيه مركز للإحساس فقط، فلا توجد عنده معلومات سابقة يربطها بالواقع أو الإحساس، وإنَّما توجد عنده انطباعات عن الواقع، ويستعيد هذه الانطباعات حين الإحساس بالواقع. وهذه الاستعادة ليست ربطاً وإنّما هى تحرك لمركز الإحساس من جراء الإحساس بالواقع الأول أو بواقع جديد يتصل بالواقع الأول. فيحصل من هذه الاستعادة للإحساس تمييز غريزى هو الذى يعين سلوك الحيوان نحو إشباع الغريزة أو الحاجة العضوية. ويكون هذا السلوك للإشباع أو عدم الإشباع فقط، ولا يكون لأكثر من هذا مطلقاً.

وعلى هذا فإنَّ الذى يحصل عند الحيوان هو إحساس بالواقع فقط مهما تعدد ذلك الإحساس أو تنوع. وهذا الإحساس هو الذى يدفعه للإشباع أو عدم الإشباع. فمثلاً إذا قدِمَ لِطيرٍ أو حيوان طعام فإنّه يميز فيه كونه يؤكل أو لا يؤكل، ثم يعين سلوكه نحوه فيأكله أو يُعرِضُ عنه، ولا يزيد على ذلك. وإذا وصل لهذا التمييز من ناحية الإشباع وقف عند حده، فهو لا يستطيع أن يزيد على ذلك ولا يحاول أن يزيد على ذلك، فلو قدم لحصان شعير وتراب فهو يحاول أن يختبر أيهما فيه إشباع، فإذا وجد ذلك فى الشعير لا فى التراب تركز عنده الإحساس بأنَّ الشعير يُشبِعُ حاجته والتراب لا يُشبِع، فيقوم بعد ذلك وفى كل المرات التى يقدم له فيها طعام بترك التراب لمجرد الإحساس به، وأخذ الشعير بمجرد الإحساس به إن كان جائعاً.

إنَّ هذا التمييز حصل عند الحيوان من تجربة حاصلة بواسطة الإحساس، وتكفى تلك التجربة ولو لمرة واحدة، وسواء أحصلت معه أو مع غيره مع إحساسه لما حصل مع غيره، وسواء أكان ذلك من تجربة شيء واحد أو تجارب أشياء متعددة مختلفة، فإنّها كلها تُحْدِث "التمييز

الغريـزي"، إلا أنَّ تجربـة الشـيء الواحـد هـى التـى تظهـر عنـد الحيوان أكثر من غيرها، وقد تحصل عنده تجارب متعددة كالتجربة على الشعير والتراب أو كالتجربة على الحلو والمر والحامض، وقد تحصل عنده تجارب معقدة فيصدر عنه استعادة الإحساس بما يشبه التفكير ولكنه حقيقةً استعادة لما سبق أن أحسه وليس ربطاً بمعلومات.

مثال ذلك تجربة سرقة الفئران للبيض: فإنه شوهد أنَّ فأرين يذهبان إلى سوق البيض، فينبطح أحدهما على ظهره، ويدفع الآخر البيضة على بطن الفأر المنبطح فيقبض ذاك رجليه عليها ويسحبه الفأر الآخر من ذنبه إلى وكرهما حتى يضعا البيضة فيه، ثم يرجعان للإتيان بغيرها على الوجه السابق.

إنَّ هـذه العمليـة معقـدة، ولكنهـا نتجـت عـن تجـارب فـى اسـتعادة المحسوسـات لا عـن ربـط المعلومـات، وهـذه التجـارب لا تحصـل إلا بمـا يحصل فيه الإشباع، أو يتصل بما يحصل فيه الإشباع، فلا تحصل تجربة الفئران بغير ما يُؤكل، لكن قد تحصل فى غير البيض مما يحصل فيه إشباع.

إنَّ هذا الذى حصل من الفأر والحصان، وما حصل لكلب مزرعة سجن سالسبوري، ومـا حصـل لسـعادين بـرهم، ومـا يحصـل مـن القـرد والجمـل وغيرهمـا، لـيس تفكيـراً وإنّمـا هـو تمييـز غريـزي، وهـو خـاص بمـا يُشـبع جوعات الغريزة فقط، ولا يتعدى التمييز، فلا يمكن أن يؤدى إلى معرفة ماهية الشيء الذى أشبع نفسه، وما هو الشيء الذى يحصل به إشباع، ومن هنا كان ذلك تمييزاً غريزياً وليس فكراً ولا عقلاً ولا إدراكاً.

ومثل الحيوان الطفل حين يولد فإنّه وإن كان دماغه فيه قابلية الربط، إلا أنه لا يوجد عنده معلومات حتى يربطها بالإحساس بالواقع الجديد ليميزه،

ولذلك لا يحصل عنده لا فكر ولا عقل ولا إدراك، وإنَّما الذى يحصل عنده تمييز غريزى فقط من حيث كون الشيء يُشبِع أو لا يُشبِع، وهذا التمييز الغريزى لا يجعل عنده معرفة عن حقيقة الشيء الذى ميز الإشباع فيه، فهو لا يعرف ما هو هذا الشيء الذى أشبع ولا يعرف ما هو هذا الشيء الذى لم يُشبِع، وكل ما يحصل عنده هو تمييز فى حدود الإشباع فقط متمثل فى هل هذا يُشبِع أو لا يُشبع فقط، فإذا عرضت على طفل تفاحة وحجر جرّب أحدهما فما يجدُ فيه الإشباع يأكله ويرمى الآخر، فتحصل عنده من ذلك تجربة يستطيع أن يأخذ بها التفاح ويترك الحجر، بتمييز غريزى حصل من التجربة فقط، وذلك لأن المعلومات لم توجد عنده بعد، فإذا وجدت عنده المعلومات استعملها استعمالاً طبيعياً لأنَّ الرَّبْطَ جزء من تكون دماغه، فإحساسه بالشيء مرتبط بربطه المعلومات حتماً، فيكون وجدود المفهوم عن الشيء مربوطاً ربطاً حتمياً بالإحساس به، فيبدأ حينئذٍ عند الطفل الفكر والعقل والإدراك بمجرد وجود المعلومات اللازمة لكى يربط بها.

وعلى ذلك فالتمييز الغريزى هو: إحساس بالواقع بواسطة الحواس يحصل من جرائه تمييز الشيء من كونه يُشبِع أو لا يُشبِع. بخلاف الفكر فإنَّه نقل الواقع إلى الدماغ بواسطة الحواس مع وجود معلومات سابقة تفسر هذا الواقع. فالفكر هو حكم على واقع أو على الشيء ما هو. والتمييز الغريزى هو تبيان أنّ الشيء يشبع أو لا يشبع لا غير.

وعلى هذا فإنَّ كل ما شوهد ويشاهد من تمييز غريزى لدى الحيوانات إنّما هو تمييز غريزى فيما يُشبِع أو لا يُشبع من الأشياء لا يتعداها، وإنّ كل ذلك لا يُشكِلُ عقلاً ولا تفكيراً، وإنَّ من السَّذاجَة الرَّبط بين تلك المشاهدات وبين طريقة التفكير فى الإنسان، أو لإثبات وتأكيد القرابة بين القرود والإنسان، فالتمييز الغريزى هو إدراك شعورى بلا فكر موجود فى الفأر والحمار كما هو موجود فى القرد والسعدان وكما هو موجود بكل

الحيوانات بلا استثناء.